

التربية الجنسية والانحراف الجنسي

بن دربال مليكة¹

مقدمة:

ما أحوجنا إلى التربية الجنسية الصحيحة، غير أنه كثيرا ما يلتبس معناها وغايتها على الناس. فكثير ممن يرفضون الخوض في الحديث فيما يسمى التربية الجنسية، بحسب ظنهم أن ذلك يعني تعليم الأطفال أشياء حول الجنس تفتح أذهانهم لما كان لا ينبغي أن ندفعهم للتفكير فيه باعتبار الجنس من المحرمات. فمسائل الجنس والنكاح والولادة ينبغي أن تخفى عن الطفل، على أن لا يعيها حتى يبلغ عمرا محددا.

يبدأ الاهتمام بالتربية الجنسية للطفل منذ قدومه إلى هذا العالم وتندرج في توسعها مع استمرار نموه، فما إن يدخل الطفل في مرحلة البلوغ الجنسي حتى يكون قد أعد الإعداد الكافي وزود بالخبرات الكافية، ويؤكد أكثر المربين على أن السنوات الخمس الأولى من عمر الطفل هي مرحلة التكوين التي يتحدد فيها موقف الطفل من الحياة وهي التي تحدد خبراته والتربية الجنسية ذلك النوع من التربية التي تساعد الطفل على مواجهة مشاكله الجنسية مواجهة واقعية (صالح أحمد زكي، 1983: 28).

فالعديد من المربين والأهالي يتساءلون: أيجوز إخبار الولد بكل ما يتعلق بالجنس؟ ويغفل هؤلاء بأنه من الخطء أن نعتبر أن الولد لا يجد مصدرا للمعلومات الجنسية سوى أهله والمربين، فهناك محادثات الرفاق السفهاء أو المطلعين على الأمور الجنسية بشكل خاطئ. كما أن الكبار يعتبرون أن أسئلة الطفل التي أهملت أو تمت الإجابة عنها بشكل مبهم وناقص قد تلاشت (موريس شريل، دون سنة: 37) فلهذا تقع المشكلة الجنسية على الأسرة بشكل خاص في مرحلة الطفولة المبكرة حيث يتطلب من الأهل تكوين اتجاهات سليمة نحو الجنس ابتداء من سنوات الطفولة الأولى والإجابة على جميع أسئلة الطفل المتعلقة بالهوية الجنسية بكل أمانة ودورا مبنيا على الصراحة التامة (رمزي إسحاق، 1982: 335).

وعلى هذا الأساس توجب تبيان مفاهيم التربية الجنسية والأهداف المتأمل منها:

في معنى التربية الجنسية:

التربية الجنسية في معناها العلمي الحديث تشمل جانبين أساسيين من الحياة، وهما الحقائق الجنسية البيولوجية الصحيحة والرعاية الجسمية التي تساعد الفرد لتكوين اتجاه سوي يقوم على الحقائق ويؤثر في سلوكه ويرتبط ارتباطا مباشرا بمعايير الجماعة وقيمها الخلقية وإطارها الثقافي (السيد فؤاد البهي، 1991: 275).

¹ أستاذة مساعدة شعبة علم النفس جامعة سعيدة

ويعرفها علماء الأنثروبولوجيا بأنها العادات الجنسية ومدى سماحة الثقافة أو تزمته في التنشئة عليها، فالفروق الثقافية موجودة فيما يتعلق بالحياد أو الاتجاه نحو تنشئة الأطفال على الأمور الجنسية (العناني حنان عبد الحميد، 2000: 35).

كما أن التربية الجنسية تعني شيئاً أوسع بكثير من التعليم الجنسي، فهي تعني الخبرة الصالحة الكافية التي تؤهل الناشئ لحسن التكيف لمشاكل الحياة المختلفة التي تدور حول الوظيفة الجنسية، من المشاكل البسيطة الشخصية إلى المشاكل الجسمية والنفسية والاجتماعية التي تتصل بالحياة الزوجية وحياة الأسرة بوجه عام (عباس محمود عوض، 1980: 204).

الأسرة والمجتمع يحددان الأدوار من خلال التنميط الجنسي:

يبدأ محيط الأسرة والمجتمع بتصنيف الواجبات والأدوار للذكر والأنثى بحيث تؤكد الفوارق الجنسية حتى قبل أن يدرك الطفل تلك الفوارق، فملابس الطفل الذكر من نوع وطرارز مخالف لما هي عليه ملابس الأنثى، وكذلك الألعاب التي تقدم للأطفال باختلاف جنسهم. فهذا التفريق الاجتماعي يطلق عليه تدريب الطفل على اكتساب الدور الذي يلائمه والذي يتوافق مع عادات وقيم المجتمع الذي يعيش فيه (الآلوسي وآخرون، 1983: 138).

فمساعدة الطفل في تشكيل الهوية الجنسية المناسبة من المسؤوليات المهمة التي تقع على الوالدين، لأن العملية التي يتعلم من خلالها الطفل السلوكيات والاتجاهات المناسبة اجتماعياً لجنسه تسمى بعملية التنميط الجنسي حيث يتعلم الطفل المعايير الجنسية للدور بأنه ولد أو بنت ويكتسب بذلك الهوية الجنسية (أحمد عبد العزيز سلامة، 1986: 561). فتحقيق الهوية الجنسية تعني وعي الطفل بطبيعته البيولوجية الأساسية من أنه ذكر أو أنثى وتقبله لهذا الدور نفسياً. والام تعتبر الأساس في هذه الرعاية، فأسلوبها في التعامل مع حاجات الطفل (بالصبر أو الحنان أو الاهتمام أو الشدة أو الإهمال) تؤثر فيه وفي استجاباته وموقفه تجاه الآخرين.

لذا للتنشئة الاجتماعية للطفل أهمية كبرى من حيث تنظيم عمليات التبول والتغوط والنظافة وفترة الرضاعة، وكيف يؤدب الطفل ويعامل أثناء كشف أو لمس أعضائه التناسلية، أو ما يتعلق بالتنميط الجنسي من حيث اكتساب الطفل للسلوك المناسب لجنسه. فعندما يكبر الطفل سيكتسب أنماط واتجاهات من السلوك تتشابه إلى حد ما مع سلوك الأبوين. وهذا ما أكد عليه "فرويد" صاحب النظرية الجنسية وعلماء نفس الطفولة والنمو، كون الطفل يتعلم دوره الجنسي من الثقافة السائدة بمحيطه الاسري (الدباغ، 1982: 82) فمعايير الانوثة على سبيل المثال قد تكون معروفة لكون الانثى بطبيعتها مطيعة وخاضعة للرجل ومعتمدة عليه، في حين أن الرجل قد يثير السخرية إذا قام بأعمال البيت أو إن صدر منه سلوكيات لين. فالمتوقع من الذكور في مرحلة الرشد ان يكونوا أشجع وأقوى وأقل انفعالية من الإناث.

(Kohlberg ; 1966 : 82)

في معنى الانحراف الجنسي:

يعرف الاتصال الجنسي بأنه شكل من أشكال الممارسات الجنسية التي تهدف للإشباع الجنسي السوي عن طريق الاتصال الطبيعي المشروع (أنور حمودة، 2006، 290). أما الممارسات الجنسية المنحرفة فيشار إليها بمصطلح "البارافيليا" وهي الممارسات الجنسية التي تكون ضد معايير المجتمع، مما قد يسبب معاناة جراء هذا السلوك وانخفاض في الأداءات الاجتماعية والمهنية والعائلية (Blachère, 2012, 793)

وتتميز البارافيليا بأنها مجموعة سلوكيات وأوهام تحدث بشكل متكرر ومكثف والتي تنطوي على أشياء وأنشطة غير عادية والتي تسبب ألم شخصي، وضعف هام سريري في المجالات الاجتماعية والمهنية وغيرها من المجالات العامة. (DSM4 , 1994, 618)

ففي أكثر كتب الطب العقلي تعرف الجنسية السوية بأنها السلوك الجنسي الذي تكون غايته النهائية هي الاتصال الجنسي التناسلي بفرد من الراشدين عن رضا وطوعية، فأنواع السلوك الجنسي التي توسم بأنها انحراف تتغير بتغير الزمن والحضارة. فالجنسية المثلية لم تكن تعد انحرافا عند الإغريق ولكنها تعد كذلك اليوم ، فصور السلوك الجنسي التي تعد اليوم انحرافا وأكثرها شيوعا تصنف بحسب الانحراف في اختيار الموضوع وانحراف وسائل الإشباع والاستمتاع. (شلدرونكاداش، 1984، 83).

وعلى العموم نلاحظ إجماعا في تبني تعريف الانحرافات الجنسية على أنها انحراف السلوك الجنسي أو الشذوذ الجنسي، بأنها جميع السلوكيات التي تهدف للحصول على المتعة الجنسية بأساليب أخرى غير الاتصال الجنسي العادي وعادة ما تكون هناك قواسم مشتركة مع الشريك بالتراضي مع غياب القلق أو الخجل. (Serge Tribolet , 2005, 243)

أشكال الانحرافات الجنسية:

إن الهدف الرئيسي لسلوك الإنسان الجنسي -كما تم إيضاحه في المفاهيمية- هو أن يساهم في خلق روابط أو إنتاج لذة متبادلة بالتعاون مع شخص آخر للتعبير عن الحب بين فردين. أما الانحرافات الجنسية فهي تختلف عن ذلك في كونها تشمل العنف، وجود ضحية، أحادية متطرفة كلها سلوكيات تستثني أو تؤذي الآخرين وتعرقل الارتباط بين الأشخاص. وهذا ما سنستشفه في كل من الانحرافات التالية:

- المثلية الجنسية: تعود قضية المثلية الجنسية إلى العصور القديمة في اليونان ومصر والصين، حيث كانت المعاملة لهذه الفئة بحسب نوع المجتمعات والتنمية الثقافية والأخلاقية والوضع السياسي. ففي عهد الفراعنة كان هناك نوع من المثلية التي شملت الأولاد الصغار، وحتى في اليونان القديمة كانوا منغمسين في العلاقات الجنسية المثلية. أما في العصر الروماني فلم يختلف الوضع، حيث كان العبد بمثابة الكائن الذي يمارس عليه الجنس من قبل سيده. (Joanna Barnecka et autre, 2005, 7)

فالمثلية الجنسية تتضح من الاسم، فالمثلية في التحليل النفسي تشمل علاقات جنسية مع شخص من الجنس ذاته، الذي تبذل له العاطفة والحب. (ثيودور رايك، تر: ثائر ديب، 1992، 65)

-الازدواجية الجنسية: تشير الازدواجية الجنسية بصفة عامة إلى الجاذبية لأكثر من أحد الجنسين معا، وهو مصطلح واسع يشمل على عدة فئات:

- * الناس الذين يرون أنفسهم ينجذبون إلى الذكور والإناث معا.
 - * الناس الذين ينجذبون إلى أحد الجنسين ولكن يعترفون أنه ليس سلوكا محتكرا.
 - * الناس الذين يعانون من اضطراب في الهوية ثم يقومون بتغيير مع مرور الوقت.
 - * الناس الذين يعارضون فكرة أن هناك اثنين فقط من الجنسين وينجذب الناس من واحد لآخر.
- (Marcus Morgan, 2012,12)

اشتواء كبار السن: هو تفضيل الشيوخ في العملية الجنسية عن الشباب سواء من نفس الجنس أو من جنس آخر. وهي علاقة إنسانية أكثر منها علاقة جسدية، فقد نجد فتاة في العشرين تحب رجلا في الستين وشابا في الثلاثين يتزوج سيدة في الخمسين.(كامل علوان الزبيدي،دون سنة،412)

اشتواء الأموات:الموضوع الجنسي هو جثة الإنسان وتكون الإثارة الجنسية في مواقف حقيقية او وهمية تخيلية تتطوي على موضوع (Serge Tribolet, 2005, 258) الجثة .

سفاح المحارم: على الرغم من ان تعاريف زنا المحارم متعددة إلا أنها تشير جميعها إلى فكرة واحدة مشتركة وهذا الربط الذي يربط الضحية على المعتدي إما بالدم أو القرابة التي تمنع زواجهما.

(Touafek Samira, 2005,14)

اشتواء الأطفال: الخصائص الأساسية من اشتواء الأطفال هي الأوهام والخيالات الجنسية المثيرة للدوافع الجنسية أو السلوكات المتكررة و المكثفة التي تتطوي على الأطفال والتي تمتد لمدة ستة أشهر على الأقل. يكون عمر الأطفال أقل من ثلاثة عشر سنة، على ان يكبر المعتدي في العمر على الضحية بما لا يقل عن خمسة أعوام، وقد تشمل لمس الأعضاء التناسلية أو الجنس عن طريق الفم، الإيلاج في مهبل أو شرح الطفل.

السادية والمازوشية: ينسب مصطلح المازوشية إلى الروائي النمساوي "اليوبولدفون ساخر مازوخ" (1836-1895) والذي طرح في رواياته شخصيات تستهدف الألم وسوء المعاملة والإذلال من الآخرين وذلك لتحقيق الإشباع الجنسي.

أما السادية فقد وصفوها بأشكال تظاهر النزوة الجنسية، التي تهدف إلى تعريض الآخر إلى الألم الجسدي أو في أضعف الحالات إلى الإهانة والخضوع. فهي مجموعة الشذوذات الجنسية التي يرتبط فيها الاشباع بالألم المعنوي النفسي أو الجسدي الممارس على الآخر.(كامل علوان الزبيدي: 405-406).

الفيتيشية: وجود خيالات أو إلحاحات جنسية شديدة الإثارة ومعاودة أو سلوكات تتضمن استخدام اشياء غير حية مثل: الملابس النسائية الداخلية، على مدى 6 أشهر.(تيسير حسون، 2004، 131).

أصبح من الجلي أنهينبغي النظر إلى التربية الجنسية بمنظار جديد وبشكل أكثر إيجابية من ذي قبل. غير أنه لم يتضح بعد الصورة حول أساليب الاعلام وهل تقوم العائلة أو المدرسة بذلك؟ وفي أي عمر وبأية طريقة؟:

الأساليب المختلفة للإعلام الجنسي:

يأتي الاخبار الجنسي أو الاعلام الجنسي في عدة أساليب جمعها العلماء ونظموها في ثلاثة أوجه:
-الإعلام غير اللفظي: ويتم بالتجربة الحية وبأشكالها المختلفة، ومما لاشك فيه أن هناك تجارب طبيعية مرغوبة وهناك تجارب شاذة تؤدي إلى صدمات نفسية متنوعة. يبدأ الولد باكتشاف أعضائه وموقعها الطبوغرافي في جسمه، إلى أن يدرك بشكل عام الفرق في الاعضاء التناسلية الخارجية عند الجنسين. فالمشاهد العادية اليومية هي درس مستمر في التربية الجنسية، ففي القرى الجبلية مثلاً أو الريف يتمكن الأولاد أحياناً من رؤية الحياة الجنسية عند بعض الحيوانات، كما قد يحضرون ولادة البقر أو الكلاب التي يعتنون بها فيدركون معنى عملية الاخصاب وضرورتها، غير أن الاستنتاج والمطابقة بين عالم الحيوان وعالم الانسان الجنسي يتطلب عملية عقلية معقدة. ففي كل المجالات إذا لم يتوافق التأثير الخارجي مع درجة التطور الداخلي للفرد أو يتناسب مع إمكانياته الطبيعية، فإنه يؤدي إلى عدم توازن في الشخصية وفي حال انخرط الولد قبل الأوان في عالم لم يهيأ له بعد، يتوقف تطوره وقد يحصل له أعراض مختلفة في حياته الجنسية.

- الإعلام اللفظي العادي: يعتبر العلماء أن وعي الحقائق الجنسية بواسطة الكلام مرحلة مهمة في تطور الفرد العاطفي. ولا يمكن اجتياز هذه المرحلة دون مساعدة أحد، فقد لا يجد الطفل الكلمات المناسبة وحده، أما الكلمات التي يوحىها إليه رفاقه فغالبا ما تكون نابية وفظة، فللكلمات قدرة هائلة، فهي تحول الفعل نفسه من فعل شريف رائع إلى فعل بشع وقذر.

للثقة أهمية بالغة، فبداية المحادثة عن الموضوع الجنسي هي برهان الثقة، وهي في الوقت نفسه عامل من عوامل وضع الثقة. ما يجب تجنبه منذ الصغر هو أن علم الجنس يصبح بحثاً سرّياً ويرتفع جدار من الصمت حول هذا البحث يؤدي غالباً وبشكل مزعج إلى وضع حدود بين الأجيال. فالأهل الذين يسرون للتخلص من مناقشة مخيفة، ينسون أنهم أضاعوا أفضل فرصة مناسبة لكي يبقوا على علاقة حميمة وصادقة مع مايمر في رأس أولادهم. ففي استفسار الأبناء عن مولدهم، يمكن أن نعطي فكرة أولية عن اتحاد بذرتين أو خليتين أو بالمقارنة مع الأزهار والحيوانات وذلك وفق لعمر الابن.

-الاخبار العلمي: بعد قيام العائلة بواجباتها على أكمل وجه يأتي دور المدرسة حيث تقدم الاعلام العلمي، إذ يبقى على الولد تنظيم معلوماته والعمل على تكاملها في مختلف أوجه نشاط الحياة. فقد أخذت المدرسة على عاتقها مهمة توزيع المعرفة العلمية وفيها يتعلم الناشئ سبل العيش في مجتمع زملائه بعيداً عن البيئة المنزلية. من هنا كان وجوب تعاون البيت والمدرسة وبشكل فعال فتقوم مناقشة حول توزيع الأدوار خلال اجتماعات المربين مع الأهل وذلك كي يتخطى الطفل مراحل نموه بنجاح.(موريس شربل، 45-48) ويوصي الخبراء في هذا الشأن بأن يتبع الاخبار اللفظي العادي، ولا يسبقه مطلقاً. ففي الأجواء الريفية يمكن أن يبدأ بأشياء ملموسة، كملاحظة الحيوانات الصغيرة والاعتناء بها، وهذا لا يتوفر في المدينة. وهنا يأتي دور المدرسة في تأمين أمثلة مشابهة للأمور الطبيعية في الريف وعلى مرأى من جميع

التلامذة، هذه التثنية المشتركة يمكن أن تكون مدخلا إلى دروس العلوم حيث يكون التشديد على علم الجنس، هنا لابد أيضا من إعداد معلمين لهذه الغاية من اتقان أساليب علمية ونفسية وأخلاقية لهذا الشأن.

اما بالنسبة لعلم الصحة ودوره في الحياة الجنسية، من المستحسن أحيانا استدعاء الطبيب الخاص بالمدرسة الذي من شأنه أن يقدم بعض المحاضرات التي تتاسب عمر وجنس مستمعيه. ولكي تقوم المدرسة بهذا الدور التربوي الهام، يلزم توافر المعلم الواعي الذي يتتبع محاورا ونقاطا بينة في الثقافة الجنسية التي تقدم لأطفال المدارس، والتي يمكن ان نجعلها كالاتي:

- إعطاء المعلومات الجنسية السليمة والواضحة للطفل.
 - أن يشعر الطفل بالاطمئنان والراحة لانتمائه الجنسي.
 - أن يحدث حوار واع بين الطفل ومعلميه يكون الغرض منه استيعاب الحقائق والمفاهيم الجنسية وخلق مناقشات بناءة تضع الطفل في المسار السليم جنسيا بعيدا عن الخجل والجهل والغموض.
- ولقد تبين أن هذا الأسلوب في معاملة الأطفال يزيد من ثقتهم بأنفسهم ويزيد من تحصيلهم العلمي، أكثر من الأطفال الذين يعيشون في غموض وخيالات الجنس الوهمية حينما لا يجدون إجابات مقنعة لأسئلتهم المتعددة. (أحمد عبد الكريم حمزة، 2010: 72-73)

في الأخير نستخلص أن التربية الجنسية هي باب من أبواب المعرفة التي تزودنا بالعلم الضروري لكي نتعامل بمقتضاه إزاء مسائل من صميم وجودنا الشخصي، والاجتماعي. فالجنس محور من المحاور الكبرى التي تدور حولها حياتنا. والتتقيف الجنسي عملية دائبة تلازمنا منذ الطفولة، فالجنس مسألة حيوية في تكوين الشخصية والتفاعل الاجتماعي، فالجنس لم يصغ الأفراد علاقاته على هواهم، وإنما له قيم وتقاليد تؤطر حدوده ونظم تسييره.

الهوامش:

- 1- أحمد عبد العزيز سلامة (1986)، ترجمة: (مسبول، جونكونجر، جيرومكا جان)، أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة، مكتبة الفلاح، الكويت.
- 2- تيسير حسون (2004)، المرجع السريع للدليل التشخيصي والاحصائي الرابع
- 3- أنور حمودة البنا (2006)، الامراض النفسية والعقلية، الطبعة الاولى، غزة، فلسطين
- 4- الدباغ فخري (1982)، مقدمة في علم النفس، الطبعة الاولى، جامعة الموصل.
- 5- السيد فؤاد البهي (1991)، الاسس النفسية للنمو - الطفولة والشيخوخة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 6- العناني حنان عبد الحميد (2000)، الطفل والاسرة والمجتمع، الطبعة الاولى
- 7- عباس محمود عوض (1980)، علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

- 8- شيلدر ونكاداش (1984)، ترجمة:

- أحمد عبدالعزيز سلامة، علم النفس الشواذ، الطبعة الاولى، دار الشروق، لبنان.
- 9- رمزي إسحاق (1982)، مشكلات الاطفال اليومية -كتاب في أصول الصحة العقلية - دار المعارف، الطبعة الخامسة، مصر
- 10- صالح أحمد زكي، علم النفس التربوي، الطبعة 13، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة المعرفة
- 11- كامل علوان الزبيدي، علم النفس الجنسي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان
- 12- لطفي الشربيني (2001)، موسوعة شرح المصطلحات النفسية، الطبعة الاولى، دار النهضة العربية.
- 13- موريس شريل، التربية الجنسية، دار المناهل للطباعة والتوزيع، بيروت - لبنان.
- 41 - Blachère Cour (2012), Pratiques Sexuelles Behaviors, hopital Fache, France.
- 51 - Kohlberg (1966), A Congnitive- developmental analysis of children's Sex- Role concept and attitudes differences, Stanford. Calif: Stanford University Press, P.P.
- 61 - Marcus Morgan (2012), The Bisexuality Purport, London, England.
- 71 - Serge Triboulet et Mazda Chahidi (2005), Nouveau Percis de Semiologie des Troubles Psychiques, heurs de France.
- 81 - Touafek Samir (2005), Contribution al' Etude des Conséquences de l' inceste, université Constantine, Algérie.